أثر المكان في شعر مصطفى جمال الدين

المدرس المساعد

عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة

ملخص البحث:

تناول البحث موضوعة المكان بعد أن قدم نبذة عن حياة الشاعر التي تمحورت في ثلاثة مراحل تركت أثرا واضحا في شعره، فمرحلة النشأة كانت في قرية في جنوب العراق حيث الأهوار والبيئة النقية ثم مرحلة التكوين الفكري في النجف الأشراف والمرحلة الثالثة مرحلة الغربة التي فرضت على الشاعر،وان جميع هذه الأمكنة لابد لها أن تعكس تأثيراتها في ما أنتجه من شعر بدت فيه تأثيرات الأمكنة المختلفة،إذ تطرق البحث إلى أنواع هذه الأمكنة فوجدها :أمكنة أليفة تمثلت في البيت والقرية وما بينهما ومن الأمكنة الأليفة الأخرى لدى الشاعر المدينة التي أحبها وشكلت شخصيته وهي مدينة النجف الأشرف فقد كان لها حضورٌ واسعٌ في شعره ،كما حظي العراق في شعره بكثافة تؤكد شدة الارتباط بين الشاعر ووطنه .والنوع الأخر هو الأمكنة الطبيعية وتمثلت في الأنهار والصحاري ،ثم تطرق البحث إلى الأمكنة التاريخية والأمكنة الدينية ثم الأمكنة المعادية التي تمثلت في المنفى وأمكنة اللجوء التي كان للحزن والاشتياق والحنين الى الوطن السمة البارزة في شعره فشكلت نزوعا جليا إلى عدم نشوء علاقة ود بين الشاعر وهذه الأمكنة المفروضة عليه . وختم البحث بذكر أهم هذه التأثيرات على نفسية الشاعر ونتاجه الشعري.

The place influence on

Mustafa Jamal Aldeen's poetry

1- The life of this poet was distinguished b unique attributes. He had spent his childhood in the countryside. Then, he moved to Al Najaf Al-

Ashraf to study. The poet was completed by political circumstances to migrate. He expatriated to several places which exerted an influence on his poetry. In this research, it has been tried to deal with the influence of those different places on Jamal Al-Deen's poetry. The research has been divided into a number of surveys.

2- Firstly, the poet's life is discussed. Secondly, the research deal with familiar places that the poet lived in. these places resembled a dream which kept reiterating during the poets life. Accordingly, those places were various, including his birthplaces, Al- Mumaneen village in sooq Al-Ashukh, and AL- Najaf AL- Ashraf. Afterwards, the research gets to the hostile places, since some places originated in the poet's imagination state of yearning, desolation and depression. In turn, those places were various including places of alienation and exile.

3- According to the image which relied on the factors of life and reality, altogether those places kept creating distinct impression in his poetry.

4- Subsequently, the image developed with him and was sincere in its description and accurate in its meanings and purposes.

5- Ultimately, the research is ended with a conclusion and a list of references which the study depended on.

مقدمـــة

نبذة عن حياة الشاعر :

هو السيد مصطفى بن جعفر بن عناية الله أل جمال الدين ،جاء الى هذه الدنيا((في اليوم الحادي عشر من جمادي الأولى سنة ١٣٤٦هجرية الموافق للخامس عشر من شهر تشرين ثانٍ سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد في قرية من قرى جنوب العراق تدعى "المؤمنين" في ريف سوق الشيوخ))(١) ومن عائلة شريفة ((ترجع في نسبها الى السلالة العلوية من نسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عليه السلام "وفاطمة الزهراء"عليها السلام"))(٢) ولقد كان جده الأول السيد عناية الله جمال الدين هو((الزعيم العشائري والمرجع الديني لقبائل الأرياف في محافظة الناصرية جنوب العراق))(٣) وهذه النشأة الريفية في أحضان الطبيعة التي تتسم بغلبة المياه وندرة اليابسة وصفاء الجو وعذوبة الهواء وشيوع الأعمال التي تتلاءم مع هذه البيئة النقية الصافية حيث المياه

التي أحاطت بالأرض اليابسة الرطبة إحاطة جده بالشؤون العشائرية والدينية لهذه القرى،فقد كان مرجع القوم واليه وعنده يجد أبناء هذه البيئة حلولا لقضايا حياتهم الدنيوية والدينية ،هذه هي الظروف البيئة والاجتماعية التي نشأ بها السيد الشاعر ،ولكن هذه الحياة على وفق هذه النمطية لم تدم طويلا إذ سرعان ما ترك الطفل مدرسته وهو في الصف الرابع منتقلا مع والده إلى بيئة مختلفة لم يألفها فلا مسطحات مائية ولا حقول خضر ولا بيوت من قصب ولا صحبته الصغار،فقد غادر قريته مع والده الى مدينة النجف الاشرف وكان ذلك في أواخر سنة ١٩٣٨م،والتحق هذا الطفل الصغير طالبا في ((الجامع الهندي يستظهر متن الاجرومية ،ويطوي تحت عباءته الصغيرة "قطر الندى"لابن هشام وهو يتطلع بلهف لان يحفظ الألفية لمحمد بن مالك))(٤) وفي هذه المرحلة من حياته في مدينة النجف الأشرف تكونت شخصيته العلمية والأدبية فقد أكمل دراسة المقدمات والسطوح والبحث الخارج عند الإمام الخوئي "رحمه الله"ولقد استغرقت هذه المرحلة من عمره أربعة عشر عاما من سنة ١٩٣٨ حتى ١٩٥٣ وحينها اضطر للعودة إلى مسقط رأسه في قرية (المؤمنين) بسبب وفاة جده السيد عناية الله،وعن هذه المرحلة يقول السيد جمال الدين ((وتحت وطأة هذا العبء الجديد ،اضطررت لترك النجف أكثر من خمس سنوات،لا أزورها إلا لماما،ولكن صلتي بالأسرة الأدبية لم تنقطع ،وإنما اتخذت مجالا أخر ،فانا بحكم شاعريتي وحبي المفرط للأدب صرت محور جماعة أخرى من أدباء سوق الشيوخ وعقدت صلة بينها وبين جماعة النجف))(٥) ويقصد بلفظة "بينها "جماعة أو أسرة "الأدب اليقظ"((وهي جماعة أدبية تكونت من محبي الأدب من الشباب ألنجفي))(٦) ولعل في هذا الاستشهاد بكلام الشاعر دلالة تفصح عن موهبة أدبية واهتمام نشأ عنده منذ طفولته ومنذ أيام دراسته الأولى في النجف الأشرف ،فهو محب للأدب ،حريص على الاهتمام بأموره ومتابع لقضاياه ومشارك في إنتاجه ، وفي ديوانه الدليل الواضح على هذه الشاعرية التي بزغت مبكرة فتعضدت بالعلم الذي اكتسبه من مدارس النجف الأشرف والتي عاد إليها سنة ١٩٥٨م، ليدخل كلية الفقه ويتخرج في الدفعة الأولى من الكلية بتفوق ،ثم ما لبث أن انتظم طالبا في جامعة بغداد ليحصل على شهادة الماجستير في الفقه عام١٩٦٩م وكانت رسالته بعنوان "القياس حقيقته وحجيته "ثم حصل على الدكتوراه في النحو عام ١٩٧٩م((وقد كانت أطروحته بعنوان"البحث النحوي عند الأصوليين"وخلال هذه المرحلة اصدر ديوانه الأول "عيناك واللحن القديم"))(٧) ولقد تميزت هذه المرحلة من حياته بالبحث العلمي وكذلك الاهتمام بالشعر بصورة

خاصة ، ولم يكتب لهذه المرحلة من حياته أن تستمر على هذا المنوال إذ تدخلت فيها عوامل ومنغصات فداهمته مرحلة أخرى وصفحة جديدة مختلفة تركت بصمات واضحة في نتاجه الشعري هي صفحة يملؤها الحنان وتضج باللوعة ويغلفها الحزن الذي ولدته الغربة التي فرضت على الشاعر،حين ضاق عليه العراق ،بل ضيقه عليه النظام الحاكم آنذاك،مما اضطره الى الهجرة الى الكويت ومنها إلى سوريا وفيها حط رحاله حتى وفاته عام ١٩٩٦م ودفن في دمشق وهذه المرحلة يمكن أن نسميها بالمرحلة الثالثة في سفر حياته وهي مرحلة الغربة والحنين الى الوطن الغالي الذي حمله الشاعر معه أينما حل أو ارتحل،مرحلة الدفاع عن حقوق الشعب الذي انجبه وأحبه، فقد واجه النظام وسعى إلى لم شمل اللاجئين العراقيين وتوحيد كلمتهم ،كي يسمعوا صوتهم وقضيتهم العادلة إلى العالم الحر((فلقد ترأس الوفود ليشرح معاناة الشعب العراقي من نظام الطاغية ،خاصة أزمة الأهوار وتجفيفها))(٨) وهو مع هذا الجهد والعناء ظل شاعرا منتجا،جادت قريحته لنا بقصائد كثيرة من أشهرها :يقظان ،على ضفاف الغدير ،رماد الوطن ،ومن الجنوب إلى الجنوب،وكل هذه القصائد كان يغلب عليها الحزن وتلفها اللوعة وتبدو عليها انفعالات الشاعر جلية صادقة ،مما اكسبها القدرة على التأثير في قلوب محبي هذا الوطن العزيز وتؤسس لصلة الود بين الشاعر وبين جمهوره العربي على امتداد الوطن العربي الكبير،وما تقديمنا هذا إلا لنكشف عن مراحل حياته حتى يسهل لنا الولوج الى عالمه الشعري الجميل الذي يبدو لنا فيه تأثير المكان بشتى صنوفه وتعدد أنواعه فهو المشتمل على التنوع والثراء الذي أحدثه الانتقال من البيئة الهادئة الوديعة حيث ريف جنوب العراق بكل تفاصيله الجميلة ،إلى عالم أخر بين الكتب وحلقات الدرس حيث جفاف البيئة وقسوة مناخها،واختلاف الأجناس فيها وامتزاج الثقافات ،ثم تتغير الأحوال حيث الغربة والشوق والمدن القاسية والحدود المانعة ،والإحزان التي تثيرها أخبار الوطن العراق في روح شاعر شفافة ،شغف بحب وطنه ونذر نفسه للدفاع عن قضيته العادلة،لذلك كان لزاما على البحث أن يجلي هذا التأثير ويدل عليه ويبين سماته ويوضح صوره ولأجل ذلك كان هذا البحث.

المبحث الأول
المعاني اللغوية والفنية للمكان

إن اتخاذ لفظة" المكان" عتبة لذا البحث يستوجب إيضاح مدلولاتها والوقوف على معانيها اللغوية التي استقرت عليها ،ومن ثم تحولها إلى عالم المصطلح الذي فرض عليها الثبات النسبي

والدلالة الواضحة واكسبها أحقية العلمية في الدراسات التي اعتمدتها منهجا يصار من خلاله إلى الوقوف على تأثير البيئة بتعدد أنماطها وتلون وجودها .

فالمكان، لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور وتحت مادة "كون" ((الكون :الحدث ....تقول العرب لمن تشنؤه:لا كان ولا تكون ،لا كان، لا خلق،ولا تكون ،لا تحرك،أي مات ،والكائنة: الأمر الحادث ،وكونه فتكون؛ أحدثه فحدث))(٩) ويقول في موضع أخر أن المكان هو ((الموضع والجمع أمكنة،كقذال واقذلة، وأماكن جمع الجمع،قال ثعلب ،يبطل ان يكون مكان فعالا،لان العرب تقول:كن مكانك ،وقم مكانك،واقعد مكانك،فقد دل هذا على انه مصدر من مكان او موضع منه))(١٠) ولكن لأبي البقاء الكفوي رأي أخر ،يقول ((المكان هو الحاوي للشئ المستقر من التمكن))(١١) وهذه التعريفات وان بدا فيها اختلاف إلا أنها تكاد تجمع على أن المكان هو الموضع المشغول الذي يدل على الاستقرار والوضع والمنزلة، ومن هذا المعنى اللغوي نستطيع القول ان المكان لفظ يدل دلالة عميقة على صيرورة الحياة الإنسانية ، فالمكان((هو الموضع الذي يولد فيه الإنسان وهو الموضع الذي يستقر فيه وهو الموضع الذي يعيش ويتطور فيه ،اذ ينتقل من حال إلى أخر ،وما ينطبق على تطور حياة الإنسان الفرد ،ينطبق على حياة الجماعات والأمم))(١٢) إذ لا حياة إلا في موضع أو حيز أو متسع من فضاء أو ارض.

المكــان فنيــا :

مرت الدراسة في هذا الموضوع بتطورات عدة حتى صار للمكان مفهومٌ محددٌ أتخذ قالبا سميَ فنيا أو صار مصطلحا تداوله الكتّاب والنقاد في دراستهم ،فلقد نظر الفلاسفة قبل النقاد الى هذا الموضوع وقدموا لنا تعريفات أو توصيفات تتقارب أحيانا وتبتعد حينا آخر ، فقد قال أرسطو:إن المكان هو ((نهاية الجسم المحيط وهو نهاية الجسم المحتوي))(١٣) وفي هذا التعريف تبدو آثار الحسية واضحة والتي هي سمة ((الصور الذهنية للمكان لدى الإنسان البدائي ،هي صور مظاهر محسوسة تشير إلى أماكن أو مواقع لها خصائص عاطفية))(١٤) وإذا كان المكان يتسم بهذه السمة الحركية ،فقد صار أقرب إلى الحياة منه إلى الحيز الذي لا حراك فيه،وهذا ما يقوم به العمل الفني الذي يشعر الناس بحركية المكان ومن ثم يمنحه التأثير،ويؤشر زاوية النظر إليه ، والتي قد تأتي متعددة لكي تمنحه سعة ودلالة أكثر وعندها((تضحي الأشياء المادية الواحدة متعددة الأشكال

لاختلاف الجانب الذي ينظر إليه ونفسية الناظر،فقد أرى مكانا براحا في حين يراه غيري ضيقا لا يكاد يتسع لبعوضة ،فالمكان أكثر من منظر طبيعي أنه حالة نفسية))(١٥)

وبهذا التفسير الذي أورده رائد الكتابة في موضوع المكان – جاستون باشلار-لا يظل المكان شيئا محايدا إذ يقول: إن ((المكان الممسوك لن يظل مكانا محايدا خاضعا لقياسات وتقييم مساح الأراضي ،لقد عيش فيه لا بشكل وضعي ، بل بكل ما للخيال من تحيز ،وهو بشكل خاص،في قلب مركز اجتذاب دائم ، وذلك لأنه يركز الوجود في حدود تحميه))(١٦) ومن هذا القول يمكن أن يقال إن المكان يكاد أن يشتمل على أبعاد ثلاثة :هي الخيال ،الحالة النفسية والوضع الاجتماعي ،ولذلك تعددت الأمكنة وتنوعت ((فهناك مكان موضوعي ومفترض ومجازي وهندسي ومعاد وتجربة معيشة وجاذب وطارد وأليف ،وهناك أيضا مكان ذو بعد واحد وآخر متعدد الأبعاد وثالث تاريخي أو واقعي أو نفسي أو ذاتي أو تعبيري))(١٧) وهذا التعدد للمكان ولد تعريفات اختصت كل واحدة بشكل معين من أشكال المكان وأنواعه حتى جاز لنا ان نقول هو ((رؤيا خاصة للكون عبر فلسفة العصر الذي نحياه ،وعلى هذا فالمكان من أكثر الأنساق الفكرية تعقيدا في بناء الشعر))(١٨) ولذلك أصبحت النظرة إلى هذا الموضوع تتسم بالثراء المعرفي لأنها تعالج الحياة بتشعباتها ومؤثراتها التي تترك بصماتها على النص الأدبي الذي ينشئه الأديب متحدية القصدية التي ربما فرضها الشاعر على نتاجه أو ربما حاول إخفاء حالته النفسية لأي سبب كان أو لأي مسوغ اعتقده قادرا على إسعاف مطلبه وإنجاح لعبته الفنية .وفي خضم هذا البحر الزاخر من المؤثرات يتولد لدينا الأمل في سبر أغوار المكان في شعر السيد مصطفى جمال الدين.

المبحث الثاني

أنواع الأمكنة في شعر مصطفى جمال الدين

تعددت وتنوعت الأمكنة التي ذكرها الشاعر في شعره أو جاءت معنى و حادثة و دلالة و أجواء وصور، وكل هذا التنوع ربما كانت له أسبابه التي تجد تفسيرا لها في حياة الشاعر عندما تمحورت في مراحل وتحددت في أزمنة وأمكنة فرضتها ظروفه الخاصة وحياة شعبه الذي لا تخفى على احد من الناس صورتها القاتمة ، وهذا التنوع والاختلاف سنجده في استثماره له شعرا عكس صورة الأمكنة التي حوت الشاعر أو التي مر بها أو تلك التي اخترعها أو تخيلها أو التي استدعاها

من الأمكنة التاريخية أو التراثية ،وسوف يحاول البحث توضيح هذه الأنواع وبيان تأثيراتها في الصورة الشعرية التي يقدمها لنا الشاعر:

١- الأمكنة الأليفة :

يعد البيت الأول في حياة الإنسان الذي رأى فيه النور المكان الأليف وهو الذي يظل ملازما للشاعر أو الإنسان طوال حياته، فهو دائم معه وكأنما هو جزء منه خارج عن حدود الزمان، متحد في تفاصيله مع تفاصيل الحياة ،حاضر في إحزانه وأفراحه لان ((البيت هو مجمل الطفولة ساكنة بين ذراعيه ،والكثير من ذكرياتنا محفوظة في البيت، إننا نحلم في البيت الذي ولدنا فيه))(١٩) وهذا الحلم يظل يلازمنا وكأنه مستثنى من شروط الزمان والمكان ،فهو حر طليق، فيترك أثاره في نفسية الشاعر، وفي آهاته وانفعالاته، تنعكس هدوء البيت وسكونه وحميميته وحنانه ودفئه فنرى الشاعر مصطفى جمال الدين يقول حين تخاطبه حلوته:

تسألني حلوتي من أكون إذا أنت أبعدت عن حينا
وأسلمتني لركام الهموم يعبا بوطأتها بيتنا(٢٠)

فالبيت هنا أصبح مشعلا بالهموم لان الفراق هو الذي غلف جنباته بالحزن حين ابتعد المحب عن الحي الذي تعارف فيه، ونبت فيه إحساسه لأنه المكان الفعلي والذي هو ((حسن أصيل عميق في الوجدان البشري وخصوصا إذا كان المكان هو الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط المشيمي برحم الأرض – الأم – ويرتبط بهناءة الطفولة وصبا بات الصبا ويزداد هذا الحسن شحذا اذا ما تعرض المكان للنقد او الضياع))(٢١) فهو ارتباط يتضح جليا حيث يصفه بالعش الذي على رغم ضيفه، ضم الأمنيات والأحلام: يقول:

وعشرا رايت على ضيقه وأنت معي فيه – كل الدنى
أسائل عن طائري وكره وأبحث عنه، هنا أو هنا
فيخبرني كل شيء رآك تعب بكأسي رحيق ألهنا
بأنك كنت هنا زائرا وكان سواي لك الموطنا(٢٢)

فالذكريات، تتثال في هذا العش وهذا الوكر الذي يحدد في مكان مخصص، وذلك خلال استعماله لفظة هنا أو هنا وهي من الألفاظ التي تدل على المكان أو تشير إليه وتحدده.

والبيت عند الشاعر ليس جدرانا وسقوفا ومناخاتٍ، وإنما هوما يحويه من أشياء تترك اثارها في الشعر وتظل حاضرة، تومض له، أو تؤرقه أو تذله أو تذكي ذكراه وشوقه، فهو عندما تأخذه الأحزان ويشعر بالوحدة في الغربة يصرخ مناديا.

عودي فقد مل الرجى شهدي واختلج المصباح من وجدي
الليل لا يفهم ما أشتكي والصبح لا يسمع ما ادري
والبيت يكتظ بسكانه لكنني أسكنه وحدي(٢٣)

وفي هذه الصورة الجميلة التي اعتمدت الطباق بين ضجيج السكان والوحدة التي يعانيها الشاعر، فهو مشهد يخاطب الليل ويرى بأنه لا يفهم ما يريد، وكذلك الصبح فهو لا يكاد يسمعه، وفي هذه الصورة تتضح شدة الوحدة وغربه الروح التي حاول أن يخترقها فعمد الى الاحتكاك بالأشياء الأخرى التي ظلت في البيت أو هي جزء منه، فنراه يحاول أن يتحسس دولابها)) لعله يقدر أن يمنحه القدرة على الخلاص من الوحدة والغربة فيقول:

دولابك ألعودي كم جئته أمسح في مرآته ضدي
لعلها تحفظ في سرها بقية من ذلك الوجد(٢٤)

فالبيت عنده وجد وروح وهو((عالم الإنسان الأول، يوحي للمخيلة أبدا بمحتوى اجتماعي مكثف وما من مكان اعتز به العربي في حياته))(٢٥) غير بيته ومسقط رأسه.

الشاعر عندما يأتي "البيت"في شعره فأنه يحمل دلالة الأمن والحلم والراحة ،فهو يقدم لنا صورة فتاة رأت طفلا صغيرا معدما فهالها منظره وأرادت إسعافه من الذي هو فيه من هم وحزن وجوع وخوف ،أرادت أن تمنحه الحنان والدفء والأمان وان تخرجه من حياة السأم فهو يقدم لنا صورة شعرية وبالشكل الأتي:

أتريد أن تحيا بلا سأم أن الحياة يميتها السأم
قم يا حبيب فمنزلي وله للقاك والأموال والنعم
قم إن داري قبة بنيت أملا ولم تنقل بها قدم
قم يا حبيب اريك منزلنا فمنازل الدنيا له خدم(٢٦)

وبهذه الصورة للبيت نجد الارتباط الروحي وقد تحقق بينهما لان ((الذات تتفاعل مع أماكن السكن الموحية بدلالة العزة والشرف والحماية وخصيصة الأصالة والكرامة والمتعة والإباء))(٢٧)

وهذه الدلالات قد وفرها البيت الذي ضم هذا اليتيم ومنحه الحنان والاطمئنان، ومن قبله كان مستقرا دافئا تلوذ به النفس المتعبة وتجد فيه ضالتها.

٢ـ مسقط الرأس / القرية:

ان حياة شاعرنا مصطفى جمال الدين ،قد ابتدأت في قرية صغيرة من قرى سوق الشيوخ في جنوب العراق تسمى قرية "المؤمنين" تلك القرية الوديعة الغافية على ضفاف هور الحمار ،وهي التي ظلت حلما وذكرى يحملها الشاعر معه أينما حل أو ارتحل ،وليس هذا بجديد على حياة الإنسان ، فكيف إذا كان هذا الإنسان شاعرا مرهف الحس ،فلقد حمل معه مخزون هذه النشأة صورا وحكايات وأخيلة وأحلاما وأمنيات ظلت خالدة على سطور شعره وهي أبدا حاضرة في وجدانه ، تثير فيه الحنين والشوق الى تلك الربوع التي احتضنته ،وخصوصا عندما يثير فيه البعد حينا والإساءة حينا أخر هذه الصور العزيزة فيندفع الشاعر يعرضها لنا صورا لا يرى أروع منها ولا أجمل حتى وان ضمه مكان أخر فيه من الود والدفء والجمال ما لم يشاهده من قبل ،نراه يعود الى الذاكرة يستخرج صورها الخالدة ، وهذا ما نلمسه في شعره الذي يصف فيه مجلسا ضمه مع أحبة اختلفت وتنوعت بلدانهم ،لكنه لا يستطيع أن يرى هذا اللقاء بأفضل من لقائه بقريته ((المؤمنين)) فيقول واصفا ذلك المجلس :

فكل هذا الحشد من الأصدقاء ومن المدن من شرق الأرض وغربها وفي لحظة الحب هذه والود التي ضمت الصحب ،نراه يستحضر لنا مسقط رأسه قرية "المؤمنين"فهي عنده رغم بعدها وبساطة حياتها ،قد تساوت لديه ولعلها المرة الأولى مع هذا الجمال الخلاب والألفة النادرة التي أشارت الى شيء دفين في نفسه وفضحته لان الشعر الذي استطاع أن يصور هذه اللحظة الزمانية _المكانية وذلك لأن ((التشكيل الشعري لا ينفصل فيه التشكيل ألزماني عن التشكيل المكاني،إنما يندمج التشكيلان في عملية واحدة ، فإذا القصيدة بنية زمانية مكانية في الوقت نفسه ،وان كانت في الحقيقة مجاوزة للزمان والمكان معا))(٢٩) فاللحظة الزمنية التي ولدت فيها القصيدة ،كانت، مكانا في ربى لبنان وكانت في الوقت نفسه استدعاء لأمكنة أخرى ،هي شيراز ،اردبيل ،قزوين ،سوق الشيوخ،الصحن ،كيفون ،وقرية المؤمنين ،وكلها انصهرت في قالب لغوي أحسن صياغته ليقدم صورة جميلة ويستدعي أخرى خالدة في الذاكرة.

ونظل نجد في شعره ذلك الحنين إلى الأصل الذي فيه نما وترعرع ، فنراه يظل يستذكر الجنوب، فهو ابنه البار حتى وان غاب عن ربوعه وأبعدته الأيادي ،فهو دائما يعلن هويته التي يعتز بها، في أي مكان ضمه أو أي زمان عاش فيه ،فهاهو يخاطب لبنان الذي احتضنه بقوله :

من جنوب العراق جئتك يا لبنان والظلم بيننا أنساب
ولكم في سهول (أهوارنا) صر عى ذحول مريضة واحتراب
ولنا في تلال(جبشيت)جرحى دمهم من عروقنا سكاب
ومتى أحرق الصنوبر غاز شب في باسق النخيل اللهاب(٣٠)

والشاعر في ابياته هذه يخلق مقارنة المعاناة التي تلف البلدين ، فهو من بيئة الاهوار وهي سمة الجنوب العراقي ابدا والتي تضرجت بالدماء وشاع فيها الحرب ثم الخراب ذلك الظل الملازم للحروب أينما حلت وأينما استطاب (لام جشعم) آن تحط الرحال ،فأبناء العراق صرعى حروب لا دخل لهم فيها ،بل هم ضحاياها وفي صورة مقابلة لهم أبناء لبنان الذين طحنتهم الحروب وهذا ما سوغ للشاعر إن يعقد مقارنة بين حالتين فيهما من الشبه في المعاناة ما جعل للصورة تأثيرها الذي أوجده تشابه الحالتين ،حتى كان الصورة واحدة ،صورة الواقع المر المؤلم وهذه الصور وان كانت حقيقية ،أي إنها ((قد تكون مستمدة من واقع أو سياق واقعي تقليدي ،إلا أنها ،حسب المدلول السيميائي –صور متخيلة صور تقوم المخيلة ببنائها وفق تصور ذهني خاص حتى لو جاءت مطابقة في تصورها المخيالي لواقع حقيقي))(٣١) أوجدها نظام لغوي جمع شتات الصور فأنتج صورة استطاعت أن تقدم الدلالة التي سعى لها الشاعر والتي من اجلها بنيت القصيدة

كما نجد حضورا واضحا للمكان في شعره ،فالشاعر يرى في مسقط رأسه (سوق الشيوخ) أنضر جنة عرفها واكتحلت بها عينه وهذا التصوير يدل على تعلق الشاعر بمدينته ومسقط رأسه فهو عاشق لها وهذا العشق يظهر جليا على صفحات شعره الذي يبوح بالمكنون ولا يخفي و أذا به يجهر بهذا الحب وبأعلى صوته فيقول :

سوق الشيوخ وأنت أنضر جنة في هذه الأرياف ذات قطوف
طابت لياليك التي ما دنست ساعاتها بالإثم والتزييف
يتحدث السمار حول مواقد ال نيران في ظل هناك وريف(٣٢)

وهذه الجنة التي وسعها الريف الذي أحبه الشاعر فإذا بلياليه طيبة جميلة قد لفت السمار وأسعدت لقاءهم لأنها نقية صافية تكشف عن سرها وتبوح بحقيقة جمالها الفاتن الذي لا يستقيم إلا بتلك الألفة التي ضمت أهلها حول مواقد النار المشتعلة أبدا في ليلها البهي ولعلها سمة بارزة أراد الشاعر إظهارها واستذكارها لان لها في قلبه العاشق مكانا خالدا ،فهي صورة يحتفظ الشاعر بها في مخيلته لأنها تمنحه الدفء وتشيع في نفسه الاطمئنان الذي افتقده في مواقع كثيرة من حياته لذلك حظيت هذه الصورة بموقعية مميزة في مخيلته من دون الأمكنة الأخرى ولان المكان ((يعد أبرز العناصر الدالة على وجود الإنسان ونشاطه ومستوى تفكيره))(٣٣) الذي يجد فيه متسعا أو مخزونا للصور والأفكار والأخيلة التي أسست لها في نفسه مكانا محببا ،نراه دائم الرجوع إليه فهو القائل :

الى الريف الى الريف الى مجتمع اللطف

دعينا نبترد بالليل فيه فالهوى صيفي(٣٤)

فهذا النداء وان بدا انه موجه الى الأخر لكنه في المقام الأول نداء لنفسه ودعوة الى العيش في ربوع الريف التي استهوته حتى نراه وفي القصيدة ذاتها يخاطب من أحب منها أن تتركهم فيقول:

دعيهم ودعي الصيف وما فيه وغنينا

وطوفي في ربى الريف ميادين ميادينا

فقد يطربك الملاح أهزاجا وتلحينا

وقد يعجبك الفلاح أراءا وتخمينا(٣٥)

ولان الشاعر معجب بهذا المكان (الريف)لذلك وجه دعوته الى من يحب لكي تشاركه احتفاله بهذا الفردوس الذي أخذ منه كل هذا الاهتمام.

٣- المدينة /النجف الأشرف:

تشكل مدينة النجف الأشرف مكان التكوين والنضج ،فيها تعلم وفيها اكتملت شخصيته بعد أن صقلتها مدارسها الدينية ومجالسها وطلابها الذين يفدون إليها من كل حدب وصوب طالبين المزيد من العلوم الفقهيه، فيجدون إلى جوار العلم الديني الأدب والثقافة ،يجدون الشعر الذي حظي في هذه البقعة من الأرض بالاهتمام ،فيما وجد فيه أهلها متنفسا لهم يفكون به ثقل وصرامة العلوم الذي من اجلها جاءوا إلى هذه المدينة المتحفظة والملتزمة فقد عرفت النجف الاشرف ((بتحفظها الديني وبالتالي فلا نوادي أو مسارح أو سينما أو غيرها ،مما يلهي الشباب عن دراستهم أو يرفه عنهم ،بل

أن المقاهي التي تقتصر على الشاي والقهوة كان يحظر على طلبة العلوم الدينية – اجتماعيا – ارتيادها – فلم يجدوا خيرا من الشعر وسيلة للترفيه ،وهذا ما يفسر لنا كثرة الشعراء في هذه المدينة الصغيرة))(٣٦) التي أوجدت لنا شعرا يبدو انه غريبا عن واقعها كما يقر بذلك السيد مصطفى جمال الدين من أن الشعر في النجف الاشرف في هذا الزمن ((كان ذا طابع غريب عن مجتمعه المحافظ))(٣٧) ويرى أن لهذه الغرابة أسبابا يجملها في ((القراءات المتنوعة...وثقافة الوافدين))(٣٨) التي حددت سمات هذا الشعر الذي صدح به شاعرنا فصور مدينته التي أحبها والتي اعتبرها المورد والمنهل الذي سقى شاعريته فأثمرت في رملة النجف الاشرف إذ يقول:

يا رملة النجف الشريف تذكري	ظمأ العيون ففي يديك المورد
حنت ،فكان لها بذكرك مسرح	وشكت فكان لها برملك اثمد
أشرقت بي نورا ،وغرسي ناعم	وزهوت بي ثمرا وعود أغيد
ووقيتني غرر الشباب فما ألتوت	قدم ولا امتدت لناقصة يد
وعبرتي بي نهر الكهولة لم يقف	ذرعا بصاريتي الشراع المجهد(٣٩)

وفي هذا النص الشعري اعتراف صريح لأهمية هذه المدينة في حياته وتكوينه الفكري ،ثم نشوء هذه العلاقة بينه وبينها حتى عد "رملها"حجرا تكتحل به العيون لكي تشفى ولكي تزداد جمالا،بهذه الروح العاشقة لهذه المدينة المعشوقة والتي وقته غرر الشباب وعبرت به "نهر الكهولة "ففضلها عليه كبير وحبه لها اكبر لذلك نراه يستعطفها ويريد منها أن تتذكره ((يريد من تراب النجف الاشرف الذي لم يستطع أن يحضن جثمانه – أن يمتن عليه بتذكره لأنه كان يشتاقه دائما))(٤٠) وتظل مدينة النجف الاشرف تمتلك أحاسيسه وتشغل تفكيره فهي تكبر عنده حتى تصل الى مستوى الوطن ،فهي العراق ،وهي الجزء العزيز من امة العرب، لأنه يرى أن العراقي كان دائما وطنا وملجأ ودارا لكل عربي ،اضطرته الظروف السياسية أو الاقتصادية إلى الابتعاد عن داره الأولى ،فيما يرى من حوله أن الذي ظنه سندا له وملاذا تغير ولم يعر له في لحظة الضيق والعسر التي مر بها العراقي أي اهتمام ، وفي هذا الخطاب الشعري تنعكس ذاتية الشاعر ،لا بل تبدو مهيمنة على النص الشعري بأكمله ،وتفضح عن روح العتاب وتشير إلى تلاحم مدينته النجف الاشرف مع الأمة ومذكرا بفعالها فيقول :

العراقـــي وهـــو للعـــرب دار وحســـــا م لضـــــيمهم وســـــنان
وقلـــوب أذا تشـــكت ب(يافـــا) طفلـــــة شـــــب وقـــــدها الغيـــــران
وكأن الرحاب في (النجف الاشـ رف)من فرط غيضهـــــا (وهران)(٤١)

ففي النص الشعري هذا تتضح قوة الصلة التي يتمسك بها الشاعر ويجدها أصيلة في نفوس أبناء بلده الذين وقفوا مع الشعب الجزائري في جهاده ضد الاحتلال الفرنسي البغيض ، كما أن ((في البيتين أشارة الى موقف العراقيين – وبخاصة في النجف – من دعم وإسناد إلى الشعبين :الفلسطيني والجزائري))(٤٢)

كما نجد في ثنايا شعره حضورا جليا لمدينته النجف الاشرف التي أنجبت فتية قدموا أنفسهم في سبيل قضية شعبهم ودفاعا عن معتقداتهم وأفكارهم ،إذ يرى الشاعر أن هذه الأرض (رملة النجف)أرض للأحرار ،ومكان يعتز به لأنه تلون بدماء الشهداء فيقول:

فتفجـــر يـــا حقـــد فيهـــا ودوي بـــالنجيع القـــاني جـــذور الفـــداء
وتملي يا رملة (النجف الاشرف) ورد الجنينة الحمـــــــراء(٤٣)

ويظل الشاعر يذكر مدينته هذه في أشعار كثيرة وفي أزمنة مختلفة فهي لصيقة بروحه تذكر حنينه وتأجج حبه وتمنحه صورا تتجدد وأخيلة توقظ فيه مكامن الشاعرية .

٤- الوطن /العراق:

هي الأرض التي شكلت لديه العشق الأبدي الذي امتد من مسقط رأسه (قرية المؤمنين)الى بغداد التي صارت عنده رمزا للوطن العراق لتغدو بعد ذلك الوطن العربي الكبير الذي أحبه الشاعر فترك هذا الحب أثاره في شعره مهما تنوعت أغراضه أو تمحورت اتجاهاته إلا انه يظل شعرا وطنيا تشع منه روح الحب التي مزجت بين المكان والإحساس الصادق به فكأنهما صورة واحدة ،ولعلنا نجد في شعره الذي رثى به السيد عبد الزهراء الحسيني (مؤلف كتاب –مصادر نهج البلاغة وأسانيده)هذا الالتحام بين الإحساس وبين الوطن /العراق فهو يتساءل قائلا:

كيـف تنســى دموعهـا الامـاق والفقيـــدان نبلـــه والعـــراق
والثكالى :نحن الالى ....غاض منا رافـــداه: الفـــرات والأخـــلاق
واغتربنا فلم نجد في منافيـــــه بديلا يلذ فيـــــه المـــذاق(٤٤)

فهو يجزم قاطعا أن لا بديل لهذا الوطن /العراق الذي أحبه وعشقه ،حتى لنراه يأسى عندما يرى نفسه بعيدا عن لوطن ويشعر بالضياع ،فيقول:

وطــن النــاس تربــة نبتهــا العــز وقلـــــب بحـــــبهم خفـــــاق

ضاع منا : القلب الكبير ...وأمســـى ذكريات ذاك الثرى العياق(٤٥)

ويبقى العراق حاضرا في كل مناسبة تحين علامة من علامات الحب ودلالة على الارتباط الروحي، فالعراق عنده يستحق العطف والرفق به لأنه الحبيب الذي ألم به وجع وأصابته الرياح العاتية فآذته وهو البلد الذي تساوى فيه الغناء والنحيب نتيجة القمع والظلم ،وبهذه الصورة الحسية يؤكد لنا الشاعر جمال هذا الوطن الذي منحنا صورا متنوعة فهي سمعية أحيانا وأحيانا أخرى بصرية أو لمسية وكلها مغلفة بالحزن متواترة في سياق الألم الذي يعانيه العراق وما هذه الصور إلا ((دلالة نفسية تأخذ أبعادها وما يحيطها من شحنات عاطفية دافقة ترتسم من خلالها الأشكال الإنسانية التي أراد الشاعر أن يعبر عنها))(٤٦) وان يقدم –وهو في معرض تأبينه للأديب الراحل محمد رضا الشبيبي –صورة العراق بكل أوجاعه وبطموحات أبنائه التي وحدتهم المحنة ،فنراه يقول:

يــا ســنينا شــاب الزمــان بهــا رو حـــا ومـــا شـــاب عزمنـــا والوثـــوب

ورياحـــا قـــد مزقننـــا ولكـــن مـــا نســـي ضـــيعة الشـــمال الجنـــوب

أرفقـــي بـــالعراق قـــد ذبـــل الحـــب وجفـــت مـــن الضـــرام القلـــوب

وتساوى بمسمع صفاقة الـــوادي غناء الشادي بهـــــــا والنعيب(٤٧)

في هذا النص تتزاحم الأمكنة باختلاف أحجامها وتعدد أشكالها ،غير أن العراق هو الإطار الحافظ لها فهي ضياع في الجنوب والشمال أو هو واد أصغى إلى الغناء الذي كان يشبه النحيب لعظم المصيبة هذه الصورة مفعمة بانفعال الروح ولوعتها التي أوجدها الظلم والقسوة المتسلطة على العراق وقلبه النابض(بغداد) حتى صار الشاعر حين يهزه الشوق وتنكشف أمام ناظريه ليالي بغداد التي انقضت فغدت حلما يراوده وطيفا لا يود أن يفارقه حتى يتحول الى صور حسان تمر تترى في ذاكرته فيلجأ الى خطابها قائلا:

حـدثي بغـداد عـن ذكـرى هوانـا كلمـا ضـمت شـوا طيـك الحسـانا

حـــــدثيهن وقـــــولي :إنهـــــا ليلـة حمـراء .....فاضـت أرجوانـا

حدثي فالحب أشهى ما يـــــرى ان تقولـــي –ههنا كنا وكانا(٤٨)

فبغداد هي الحديث الجميل الذي تحتشد فيه صور الزمان التي استدعاها لأنها في داخله وطنا يحيى مما جعل الشاعر((يحاول أن يعيش وطنا داخليا يتمدد كيانه عن طريق الخيال ،يعوض فيه عن غياب فكرة الوطن في الواقع))(٤٩) وان كان يحمل في بعض ملامحه صورة الماضي السعيد .

وفي ديوان الشاعر مصطفى جمال الدين أمكنة كثيرة فهي تارة مدن عراقية وأخرى مدن عربية أو أجنبية لها وقع جميل في نفس الشاعر ثم في المتلقي .

إن الغرض الذي يعشقه الشاعر قد يختزل في مدينة ،تتسع لكل أحلامه ،وقد تشعره بالطمأنينة ،وليس غريبا عن هذا الشاعر السيد مصطفى جمال الدين أن يوصف ((رجلا وطنيا ،عشق العراق وهام بحبه ،واستدلالنا على ذلك من استقراء شعره ومواقفه ،فهو لا يريد لرمز وطنه (بغداد)أن يضعها في جهة الغلبة والرجحان والانتصار الدائم ...والمتأمل لقصيدة (بغداد)يجد أن بغداد ظلت علامة مكانية تسهم في ربط وحدة الموضوع وتساعد في عملية التداعي وفيضان الذكريات عن تاريخها ماضيا وحاضرا))(٥٠) فهو القائل فيها :

بغداد ما اشتبكت عليك الأعصر إلا ذوت...و وريق عمرك أخضر

مرت بك الدنيا وصبحك مشمس ودجت عليك ووجه ليلك مقمر(٥١)

بهذه الصور ة لا غيرها يجد الشاعر بغداد صورة للحب والازدهار مهما طاف عليها ضيم او لفها ألم ففي هذه الصورة التي أوجدتها القصيدة دلالة لا لبس فيها على تأثير تشرح لنا تفاصيل المكان فيقول :

وإذا تهدج بالرصافة صوته جفلت بمصر على صداه الأقصر(٥٢)

والرصافة حاضرة بغداد ودالة زهوها وعلامة حضارية تشير الى مجد أثيل فيه ازدهرت الثقافة العربية والإسلامية التي نمت في مدارسها ومعاهدها العلمية وأشهرها مدرسة المستنصرية التي حظيت بإشارة الشاعر فقال :

ويساهر(المستنصرية) طرفه في حيث تأتلف الحروف مسمر(٥٣)

والشاعر هنا يسرد تفاصيل المكان ،لأنه أرتبط بالذكريات الساكنة في قلبه ((فالمكان كلما ارتبط بالذكريات الساكنة كان أكثر تأكيدا ،وهو كل شيء حين يعجز الزمن عن تسريع الذاكرة))(٥٤) التي ما خانت الشاعر ولم تجعل بينه وبين من أحب ستارا ،فنراه وقد أخذ يسرد لنا تفاصيل المدينة بغداد وهو يمسح دروبها ومدارسها بعين عاشق ولهفة محب لا تبقي من التفاصيل حتى أدقها حين

ينقلنا من الصورة البصرية إلى صورة أخرى قرعت سمعه فهي أصوات مغنيها وإنشاد شعرائها،وهو في عرضه هذا إنما يؤكد تأثير المكان في روحه ويشير إلى العشق الذي يعتريه لهذا الوطن العزيز .وفي ديوان شعره نجد أمكنة كثيرة لمدن العراق التي مر بها والتي تركت في نفسه ذكرى ،كما يزخر الديوان بأمكنة لمدن عربية وغير عربية وهذه في نظرنا المتواضع قد تستوجب دراسة خاصة أو بحثا مستقلا.

٢-الأمكنة الطبيعية :

١- الأنهـــــار :

تشكل الأنهار دالة مكانية بارزة في شعر جمال الدين اذ نجد لها حضورا مميزا لأنها ربما زاملته في حياته أيام طفولته في الريف العراقي ،فظل الشاعر يستعذب جمالها وقد يتخذها رمزا يلوذ به إذا أراد أن لا يفصح او أضطر إلى ذلك لأسباب سياسية أو فنية ،لكن هذا الاهتمام بمفردة الأنهار والتي هي دلالة الخصب والخير والنقاء ربما النهر الرمز إلى ثيمة تجد دلالتها في مواقف نفسية مختلفة ،ولكننا نجد النهر عند الشاعر صورة جميلة خلابة فهو يخاطب شراعا أبحر فيه فيقول :

يا شراعا يجري مع النسيم الزهـ ـــو علـى رفرف السنا مطمئنـا
جس نوتيه - هوامـــد ذكـــــرا ه فثارت، فهيجته فغنـــى(٥٥)

وفي هذا الشعر اعتراف صادق للنهر وما يجري به من سفن إضافة جمالية تركت أثرها في نفس الشاعر ولا يخفي بمن يكون فهو الفرات الذي أحب والذي يعلنها انه لا يحب الا الفرات فيقول :

أتراهـا تـود غيـر الفـرات الـــــ ـعذب دمعـا وغيـر شـطيه جفنـا
خسرت صفقة العيون وقد خـــــا ب أذ لم تكنك ــ ماتتمنـــــــى(٥٦)

بهذا الود وهذا الاعتقاد الذي يذهب به إلى الجزم بالخسارة لمن لا يضم هذا النهر في عينه ويطبق عليها أجفانه ،ولربما كان هذا النهر الخالد دون سواه اثر واضح في شعر الشاعر لأنه ولد قريبا منه ،فهو أكثر الأمكنة صلة به وربما لتجربته الحياتية ((لان المكان أحد أهم العوامل أن لم يكن أكثرها احتواء ا لمضامين التجربة ،مما يجعله أكثر العناصر صلة بالنفس ،لذلك لا يظهر المكان في الشعر شيئا معزولا مفردا أو تكوينا مجردا ،أو بناءا ،إنما يظهر بكونه ممارسة ونشاطا إنسانيا))(٥٧)

يظهر من خلال استدعاء تفاصيله التي أحسن توظيفها في النص الشعري ،اذ يرى الشاعر ،ان خير ما يصف عواطفه وأحاسيسه الملتهبة اتجاه وليده (حسن)وان يصور خفقان قلبه المحب وقلقه ،هو صورة قارب يتهادى على صفحة ماء النهر الرقراق فيقول :

يـا قاربـا يخفـق فـي شـراعه قلبـان قـد شـدا علـى كفـاح
مـا استسـلما يومـا لعسـف موجـة ولا أسـتلانا لهـوى ريـاح
حتـى اذا الشـاطئ مـد كفـه يمسـح فيهـا تعـب المـلاح
تفتقت رماله عن نبتـة خداك فيها زهرتا أقـاح(٥٨)

بهذه الصور الحسية أستطاع الشاعر ان يصف أشواقه وحنانه لوليده ،كما يشير في نصه الشعري نفسه هذا إلى قوته في مقاومة التعسف والطغيان وهو في هذا الوصف لم يبتعد عن تفاصيل المكان (النهر) فنراه يستعمل لفظة (موجة)وهي جزء من تقلبات النهر وطباعه كما تمثل في جانبها الدلالي الأخر ((الانفتاح والأمل والحب والرزق والهدوء والثورة والمجهول والصفاء))(٥٩) وكل هذه الدلالات يوفرها النهر في هدوءه وجريانه ،لذلك وقع عليه اختيار الشاعر فأحسن الاختيار.

كما نجد في قصائده الأخرى ما يؤكد التأثير المكاني للنهر بكل تفاصيله ، فالشاعر عندما يستذكر أخا له فانه يصف العودة إليه بالعودة إلى النهر ،الى الماء ، وكأنه يستحضر ما تمنحه مفردة النهر من دلالات أو لأنه شعر بان عودة أخيه إليه هي عودة إلى الأصيل لان ((الماء رمز خصب وحياة وعطاء دائم وخير))(٦٠) وهو ما يمثل لقاءه بأخيه وهو ما كان يتمناه فيقول في ذلك:

ورجعـت للنهـر الجميـل ولـي قلـب يـئن مـن الضـنا كمـد
فعسـاي أبلـغ مـا أوملـه فـي النهـر حيـث الحسـن مطـرد
حيـث الـزوارق فيـه مـاخرة هـذا يخـب وذاك يتئـد
والشاطئان ترنحا وكسـا عطفيهما بالمطرف الزبد(٦١)

والذي نلحظه في النص الشعري أعلاه أن المكان (النهر) قد ترك تأثيره في روح الشاعر مما أثار انفعاله فإذا به يقدم لان صورا حسية رائعة منتقاة بدقة كأن رساما أحسن تصويرها ، فيما أضاف إليها الشاعر حركة كي يمنحها الحيوية ويضمن لها الإفصاح عن الإحساس والتعبير عما في نفسه من شوق إلى اللقاء مع أخيه فكان النهر خير من يوصل هذا الشوق ويعبر عنه.

٢- الصحـــــاري:

إن الشاعر الذي نشأ في بيئة ريفية بعيدة عن أجواء الصحاري وغبارها ولهيب حرارتها وامتداد مساحتها وقسوة بيئتها ،فان استدعاءه لها في شعره كان دائما هو استدعاء للجدب والندرة والجفاف ،حتى أصبحت لديه العواطف التي لا تنطق عن صدق هي صحراء جافة ليس فيها غير لهاث عطشان في قفر لا ماء فيها ولا كلأ ،وتلك هي السمة التي خالف فيها شاعرنا من سبقوه من شعراء العرب الذين كانت الصحراء عندهم تعد المكان الأصل والموقع الجميل فهي ((تشكل المكان التاريخي المفترض للوعي الأول عند العرب ،كونها الفردوس الأرضي المماثل في حلم الشعراء ، وهي الملهم بوصفها بنية شعورية ثاوية في العقل العربي))(٦٢) ولكنها قد تؤدي دلالات أخر ،وأنها لدى شاعرنا لا تخرج كثيرا عن دلالات الألم والضيق والوحشة والجفاء ...والضياع فنراه عندما يصف أشواقه المتعبة والضيق الذي يعانيه يلجأ الى وصفها بأجواء الصحراء الجافة فيقول متسائلا :

أنت قطر الندى وقلبي ورد فلماذا الجفاف بي يستبد
من لهاث الصحراء جئتك ظمأ ن وفي جانحي للسحب وعد(٦٣)

فالصحراء هنا جفاف ووعد قد لا يصدق ،وهذا الجفاف يحمل في دلالات أخر الإحساس بالخوف والعداء والسعة والوحشة حتى ليبلغ فيه الخوف حد التساؤل عن وليد له جاء الى الدنيا في الصحراء في (رفحاء) وهي المكان الذي يملأ قلبه حزنا وخوفا واسى لذلك لجأ إلى أسلوب الطلب المشفوع بالنداء لمن سكن المكان فيقول :

نبؤني يا من بـ (رفحاء) بانوا كيف يغفو بليلها اليقظان
كيف هزت عواصف الرمل مهدا ضجرت من بكائه الأوطان
ضاق فيه حضن الفراتين ذرعا فتلقته هذه الكثبان
فرشت جمرها مهج البيد وجاءت بشوكها السعدان(٦٤)

فهذه الصحراء تكوي مشاعره برملها الملتهب وتخنقه بغبارها وتلدغه بأشواكها وتزعجه بكآبتها، فلا نجد في صوره التي فرضتها هذه البيئة ولونها المكان بلون قاتم تفوح منه قسوة المناخ وقلق المحب على الوليد الصغير الذي افتقد الحضن الدفء حضن العراق ورافديه ونسائمه التي استبدلت بجمر الصحراء ولهيبها ،ورغم هذه القسوة والخشونة فان الشاعر يجد أحيانا أن حدثا ما يستطيع أن يجعل هذه البيئة القاسية تشدو وتغني لان الذي جاء إليها معجزة كبرى ،وكيف لا تكون كذلك

والقادم إليها خير البرية وأفضل من حطت به قدم ،فالشاعر حين يكتب عن المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم)فانه يصور هذه الصحراء وقد طربت وارتدت أجمل الحلل فهو يقول :

لمــن الموكــب فــي غلوائــه يلــبس البيــد حلــى نعمائــه
فيــرف الزهــر مــن إشــراقه ويضــوع الرمــل مــن أشــذائه
يطرب الصحراء من زينتـــه ويبكي المزن من تبكائه(٦٥)

وهذه الصور الحسية التي تنوعت بين بصرية وسمعية وأخرى شمية ،إنما هي أثر من أثار المكان الذي لا بد له أن يترك ((حضورا في النص الشعري اما تصريحا أو مجازا أو أجواء نفسية أو انفعالية فقد نقف على لوحات شعرية عدة متنوعة ،تصور المكان وترسم أبعاده وأجواءه وفقا للحالات والأوضاع التي يكون عليها الشاعر))(٦٦) وهذا ما لمسناه في صور الشاعر مصطفى جمال الدين وهو يقدم لنا اثر المكان (الصحراء) دلالات مختلفة تتلاءم مع الغرض الذي ينشئ فيه قصيده وهذه الصور إنما هي جزء من صور شتى توافرت في شعره ،كما توافرت صورا أخرى لأمكنة متنوعة كالجبال والصخور والأودية وغيرها ،ولكننا اقتصرنا على هذين المكانين وهما :الأنهار، والصحاري ، لما لهما من أثر واضح ولما يشكلان من تطابق أو تضاد هو سر الحياة وديمومتها.

٣-الأمكنة الدينية:

ان النشأة الدينية والفكرية لهذا الشاعر ، جعلته شديد التعلق بأجواء وصور ومناخات الأمكنة الدينية ، فهي حاضرة أبدا في مخيلته لا تفارقه لأنها عشقه واعتقاده وهي لديه رمزا ودلالة على وجوده وإيمانه ((لان الأمكنة الدينية تعد من أبرز الرموز الدالة على وحدة الجماعة ....فهي بؤرة المكان الذي تتخذه الجماعة محلا لسكنها رمزا لفاعليتها في الحياة))(٦٧) التي يطمح إليها الشاعر ،الحياة التي تحقق له الحفاظ على مقدساته ،ولعل من أولى هذه المقدسات بيت المقدس الذي ظل الشاعر يذكره ويدعو إلى خلاصه من قيد الاحتلال البغيض ،ويبشر بالنصر الأتي وان طال العهد ،وهو لذلك لا يترك مناسبة دينية أو سياسية إلا ويصدح بشعر يفيض بأحاسيس وعواطف جياشة لهذا المكان المقدس ، فمن قصيدة له ألقاها في قاعة الخلد بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٦٩م والتي شارك بها في مهرجان الشعر العربي ومطلعها :

لملـم جراحـك واغضـب أيهـا الثـار ما بعـد عـار حزيـران لنـا عـار(٦٨)

فالشاعر في هذه القصيدة يقدم وصفا موغلا في الدقة والحسن للألم الذي أعترى هذه الأمة بفقدها لمدينة القدس فنراه يوجه خطابه المؤثر فيقول :

ويـا ثـرى القـدس لا تعبـأ بقافلـة أقـدامها فـي التـراب الطهـر أقـدار
تمـر فيـك بطـاء وهـي موقنـة أن ألمخـف بهـذا الجمـر صـبار
دعهم يعبون في (الأقصى) كؤوسهم وتسـتلذ لهـم فـي (المهـد) أسـمار
دعهم يحجـون (للمبكى)ومـا نسـجت لهـم عليـه أسـاطير وأخبـار
فسـوف يصـحون يومـا واللظـى حبـب والخمر دمع _كلذع النار_مدرار(٦٩)

ففي خطابه لثرى القدس تلوح بارقة الأمل ،لأنه على يقين ثابت واعتقاد راسخ أن زمن الاحتلال سوف ينقضي ،وسوف ينتفض الأقصى ،وللمهد رجال سيحولون لذة الغزاة إلى غاز يحرق أقدامهم وهذا الجزم الذي تؤكده قصيدته نابع من الإيمان الذي عليه عاش حياته والتي تمثل نبعه الأصيل والتنشئة الصالحة لان ((الحس الديني والحس المكاني كلاهما حس أصيل وعميق في الوجدان البشري ،ويزداد هذا الحس بنمو الفكر البشري ويضعف بضعفه ،لذا كانت هذه الأماكن من ابرز معالم النهوض الحضاري))(٧٠) الذي يطمح إليه الشاعر ويحلم به لبلده ولأهله .

وتظل الأمكنة الدينية تحظى بمنزلة هامة واضحة في كثير من قصائد الشاعر فهو عندما يتحدث عن النجف الأشرف وهي المدينة الدينية التي يؤمها الزائرون من كل حدب وصوب لان فيها مرقد الإمام علي (عليه السلام) فالشاعر يمزج بين مدينته النجف الأشرف ومدينة أخرى تحظى بمكانة دينية عالية في نفوس المسلمين وهي مدينة سامراء ذات الإرث الديني والحضاري الباذخ ،فيرى الشاعر أن الأنفس التي عشقت هذه المدن قد انصهرت وتوحدت فإذا هي تشكل مجدا خالدا موحدا فيقول :

يصـهر الأرواح فـي (بدوقـة) مـن هـدى (أحمـد) مـن رحمائـه
فاستحال (النجف) المورق مـن مجده في مجد سامرائـــــــــــه(٧١)

وهذا الامتزاج والتوحد لا يخفي ما للتفرد من خصائص ميزت مدينة من أخرى ولربما تشابهت حالتيهما التي مرا بها لان الظلم قد غلف أزمنة كثيرة من تاريخنا لذلك نراه يستذكر تاريخ المكان

متغلغلا في تفاصيله ومنها مكان المسجد لما يحمل من دلالات ويثير في النفس من شجون إذا ما ظل المسجد يشكو قلة مرتاديه فهو موحش لذلك كان الخطاب قد استدعى هذه المفردة الموحية قائلا :

إيـــه ســـامراء قصـــي نســـتمع مـــا أراك الـــدهر مـــن أرزائـــه
كيـف دالـت (دولـة) قـد نسـخت أيـــة الســـلطان مـــن زورائـــه
وبدا (المسجد) من وحشتـــــــــه يرهب الحيران من أصدائـــه(٧٢)

وهذه الصورة المنتقاة للمكان أراد بها الشاعر تقديم المثال الذي ارتسم في نفسه مقابلا إياه بالواقع الأليم الذي صارت إليه والذي لا يريده أن يكون لأنه يشكل خرقا للمألوف في السياق الفكري والحضاري ولان ((الأماكن الدينية عالم المثال مقابل عالم الواقع ،فالمكان هو المحور البارز الذي دارت عليه تجارب الإنسان لمفارقة الواقع ومجاوزته الى عالم المثال ،وتعد ثنائية الواقع والمثال من أكثر موضوعات الوجود إقلاقا لحياة الإنسان وإثارة لفكره وتصوره ،وهي ما تزال محور التفكير الديني والفلسفي والأدبي))(٧٣) المحور الذي تدور عليه أحاسيس الشاعر وتنهمر انفعالاته بسببه ما يدور فيه من أسى لذلك كان استحضاره للأمكنة الدينية عندما يؤبن شهداء (أل الحكيم)نراه يستجمع كل مفردات المكان الدالة قائلا :

مرحبـــا يـــا مصـــارع الشـــهداء طهـــري ذلنـــا بفـــيض الـــدماء
عطشت (كربلاء) من كثرة الدمـ ع وغصـــت جراحهـــا بالرثـــاء
فتفجـــر يـــا حقـــد فيهـــا ودوي بـــالنجيع القـــاني جـــذور الفـــداء
وتملي يا (رملة النجف الاشرف) ورد الجنينـــــــة الحمـــــــراء
رويـت مـن دمـا (علـي) بكوفـا ن ورهـط (الحسين) فـي كـربلاء
والدماء التي صبغن بـ (_باخمرا) و(فخ) جدائل الرمضـــــاء(٧٤)

في هذه لقصيدة تتزاحم الأمكنة الدينية والتي صارت رموزا خالدة لدى الأمة بما حملته من ذكريات ظلت عالقة في ذهن المسلم ابد الدهر لأنها صورت الشهادة حتى غدت الشهادة نفسها لا نه ما ذكرت كربلاء إلا وتوارد إلى الذهن صورة التضحية والفداء وكذلك الأمكنة الآخر التي وردت في نصه الشعري مثل (باخمرا) وهي مكان قريب من الكوفة استشهد فيه اخو النفس الزكية وكذلك (فخ)التي استشهد فيها الحسين بن علي الخير سنة ١٦٩هـ وهي قرب المدينة المنورة، ونجد في شعره أمكنة كثيرة اقتصر البحث على هذه فقط .

٤-ألأمكنة التاريخيــة :

احتلت الأمكنة التاريخية في شعر مصطفى جمال الدين فضاءً واسعا ،فهي تشكل لديه دلالة الارتباط القومي والإنساني والروحي إذ بها يستدل على ماضٍ عريق لأمة الإسلام وفيها تتضح عزائم الرجال الأوائل والتزامهم الديني والقومي . وهذه الأمكنة التاريخية تداخلت في نص الشاعر بعد أن استمد منها دلالتها الحضارية ووظفها في نسق يعكس التسلل التاريخي حينا وحينا أخر يشير الى النمو الفكري والروحي لهذا الشاعر الذي تمتد ضرورة منذ ولادة الإسلام ، فهو يستحضر معارك المسلمين الأولى ويرى فيها تواصلا استطاع أن يحقق ما لم يحققه الحاضر الذي يعشه فيقول:

قمَتي٠٠ نحن في مهب الذكرى ألح السنا به والبعيـــــــر
فيمد اليرموك من دم احـــــــد عابق عطر الفتوح غزيـــر
وتروي من الجريد المدمـــــــى يوم(بدر) في (النهـــر وان
ويهز النبي إطراقـــــــــة البيد)بخور فتنسى ذهولها وتثور
وإذا بالسواعد السمر تعزو الدهر والكون حولها مبهور(٧٥)

فقمة الشاعر هنا مجموعة من شباب مدينة النجف ومن أبناء المدارس التي يرى فيها العزيمة تتوقد لتشعل شمعة في طريق الأمة الذي يحلم أن يراه كما كان في التاريخ الإسلامي ، حيث التواصل والعزيمة التي وحدت المسلمين فهم أبناء اليرموك بعد أن صنعتهم معركة احد، وهم رجال يحملون الجريد(بعض سلاح المؤمنين في معركة بدر) الفاصلة والتي رسخت الإسلام الذي عز في معركة (النهر وان)التي حدثت بين الإمام علي "عليه السلام"والخوارج ، حين يرى الشاعر(أن الدماء التي أريقت في بدر واحد في بدء الدعوة الإسلامية كانت الرافد الذي نشر الإسلام في الأرض وثبت أركان دولته))(٧٦) التي أذهلت العالم ودلتهم على العزيمة الصادقة التي خلقها إيمان الرجال المسلمين الأوائل،والذي لم يجده في زمانه المر غير انه ظل متعلقا بالأمل ، ثم يسأل وفي نفسه حسرة واضحة فيقول:

يا لهول الذكرى انحن الصدى القا هر منها ام الصدى المقهور؟!
أسلمتنا الى اشتباك الأعاصير رؤانا فحطمتنا الصخور(٧٧)

والشاعر في حلمه لا يخرج أبدا من روح تحن الى الماضي المجيد وكيف استطاع القلة من المسلمين أن يغزوا العالم وينيروا طريقه ، فإذا به يستدعي أماكن شهدت انبثاق هذا النور المحمدي

وحوت أنفاسه وحركاته ، فإذا هي يثرب تشع أبدا في الكون وفي قصيدته تتلألأ فتصعد حتى طاشقند شرقا دلالة وعبرة تؤرقه وأملا يعيش عليه ، فيقول في ذلك :

حتى إذا فتحوا الفتوح وأسرجوا الـ دنيا فضاء بها الزمان الأسود
وزهت يوهج ذبالة في (يثرب) غرف ، بأعلى (طاشفند) هجد
ألفينا يحدو طلائع ركبنا تيه ويغمرهن ليل سرمد(٧٨)

فالصورة مازالت صورة الحنين الى التاريخ المجيد التي تضادها صورة الواقع حيث التطرف والتفرق وضياع المسلك الصحيح الذي يجمع الأمة ويوحدها وتستمر القصيدة تستدعي الأمكنة التاريخية موظفة إياها لإثراء الفكرة التي يريد عرضها ، فيقول :

وامتد وهج القادسية من دما أبائنا حتى الشعيبة يشهد(٧٩)

فالقادسية والشعيبة أمكنة في ارض العراق شهدت معارك في تاريخه القديم والحديث، فهي حاضرة في ذهن الشاعر ((تتفاعل مولدة دلالة العزة والشرف والحماية وخصيصة الأصالة والثقة والإباء ، قد تتحول دلالة المكان الى رمز تسجيلي يسجل لهفة الشاعر وحرارة شوقه وصدق إحساسه الانفعالي))(٨٠) اتجاه أمته وشعبه وتاريخه

ويظل الشاعر عندما يستحضر تاريخه مزهوا به ، يستدل بأمكنة شهدت مجدا ، فأرخت لعزة الأمة ، حين كان المسلمون موحدين، فيقول :

هذا محمد فخر العرب قاطبة ما كان يمتاز عن سلمانه عمر
وذا أبو حفص قد أولاه إمرته على المدائن لا راج ولا حذر
مشى على الغرب مشي الفاتحين فلم يرتد حتى تجلى البحر يعتذر
وشاقه ان يؤم (الصين) جحفله فما تعذره جبن ولاخور(٨١)

بالإسلام وبرسوله الكريم زهت الأمة واعتلت صرح المجد ، حين لاتفرقة بين المسلمين فهم سواسية ، وما يؤكد ذلك في النص الشعري استحضاره لأسماء لها دلالة تاريخية في نفوس المسلمين ،فأشار الى اعتلاء سلمان الفارسي ولاية المدائن وهي المدينة التي تقع جنوب بغداد ولم يكتف الشاعر بذلك بل نيه الى أن المسلمين قد فتحوا الشرق والغرب ، فلم يمنعهم من الغرب غير البحر فيما وصلوا الى الصين ، وكل هذه الأمكنة هي دلالات أراد الشاعر بها الإفصاح عن حبه لامته وقومه ،وان

استدعاءه للماضي الجميل وصوره الخالدة ما هو إلا خلق وإظهار لـ ((المفارقة التصويرية لإبراز حدة التناقض بين ماضينا وحاضرنا))(٨٢) والذي نجد له حضورا واسعا في شعره .

٥ـ الأمكنة المعادية:

لقد شهدت حياة الشاعر تنوعا وتغيرا لم يأت بما يحلم به ،أو يسعى إليه ،فقد فرضت عليه الحياة تنوعا في الأمكنة التي سكنها أو حط رحله فيها والتي أثرت في شعره وظلت عالقة في ذهنه ،وهذه الأمكنة التي لم تكن باختياره ولم تؤسس معه علاقة ود آو محبة والتي وجدنا لها دلالات في شعره،وهي أمكنة بلاده العراق ووطنه الكبير ، إنما نجد علاقة من نوع أخر تثير في النفس الحزن والألم ،أو هي علاقة عداء قد يبدو واضحا أحيانا وقد يختفي تارة أخرى خلف ظلال النص الشعري ويحتاج الكشف عنه إلى خبرة ودراية ومعرفة مسبقة بأحوال الشاعر ،وهذه الأمكنة التي جاز لنا أن نسميها أمكنة معادية ظلت رغم ما أحاطت الشاعر بالحنان وغمرته بالطمأنينة ورغم جمالها ورقتها إلا إنها ظلت لا تستطيع أن تكون حميمة لقلبه فهي ترد في نصوصه الشعرية وفيها ما يؤكد محاولة الشاعر ((الهروب منها ولو بصورة خيالية يوحي إليها النص الشعري ،وبهذا الهروب يتحول المكان إلى رمز وقناع لحالات الشكوى والعذاب التي تختفي وراء هذا النص أو ذاك ،أو يسمح لفكر المبدع أن يتسرب من خلاله إلى الآخرين فيبثهم شكواه وعذابه))(٨٣) ولعل أول هذه الامكنة التي لونت حياته وأسست لمرحلة متميزة في مسيرته الأدبية أنتج الشاعر فيها روائعه الفنية هي:

١ـ أمكنة الغربة / المنفى

لقد عاش الشاعر ما يقارب العقدين بعيدا عن وطنه وأهله والأمكنة التي حددت شخصيته ورسمت سلوكه ودلت على المسلك الذي سارت عليه أيامه ،أمكنة ظلت خالدة في مخيلة الشاعر لا يستطيع الخروج من سطوتها ولا يريد ذلك ولا يجد لها شبيها في الدنيا كلها وما يؤكد قولنا وقوفه على ضفاف نهر بردى واستذكاره لانهار بلاده (دجلة والفرات) فلا يرى في بردى شيئا يجذبه كالذي في دجلة أو الفرات ولا يروي ماء بردى عطشه فيصور حالته قائلا:

لا كأس تطفئ جانحي وفي فمي عطش لوجهك لافح الجمرات
(بردى) يرف فأجتويه لأنني ضيعت في عينيك عذب فراتي
وأعاف ظل الغوطتين لعلني أتفيء الهفهاف من سعفاتي
حلم أفر إلى خلوب ظلاله من لذع هذا الجمر في يقظاتي(٨٤)

فالشاعر هنا يبدو صريحا في مشاعره ولا يريدها أن تظل في الكتمان فهو يكشف عن ألمه وكرهه للمقام الذي فرض عليه رغم ما لهذا المكان من جمال لكنه غير قادر على منافسة جمال انهار بلاده وان فكرة الأنهار والمقارنة بينها وبين نهري العراق(دجلة والفرات)تسيطر على كثير من مجريات تفكيره ،فأينما رأى نهرا وقف ليتذكر دجلة أو الفرات))(٨٥) مسترجعا أياما بما فيها من فرح أو حزن لكنها تظل دائما أفضل ما رأت عينه وأجمل ما سمعت إذنيه وألذ ما تذوقت شفاهه فكل شيء في بلده العراق ينبض بالحياة رغم القسوة في تحد نراه يصوره لنا في قصيدة يرثي بها صديقا عزيزا عليه فهو يقول مخاطبا العراق :

لم يمت يا عراق بل مات جيل أنت في قلبه الدم المهراق
نسيتك القلوب دارا وحنت لمنافي (الفرنج)تلك النياق(٨٦)

ثم يكمل الشاعر قصيدته بتهكم مر يشعر المتلقي بقسوة الغربة ويشير العداء المستديم للمكان في نفسه الطامحة إلى رؤية بلاده الغالية ،وتبدو هذه التهكمية باستعماله لفظة(الدار) التي من معانيها الألفة والدفء والاستقرار،استعمالا يشعر بعدم الرضا عن الحال الذي فيه لان داره تحولت في لحظة من الزمن من العراق إلى بلاد الإفرنج الى السويد وتحول نهر الفرات الى نهر (الدانوب)وصارت القبعات زيا عربيا واستبدل العقال فهو لا يصلح إلا أداة لربط الأشياء غير أن هذه السخرية اللاذعة لا تلبث أن تتوقف عندما يصرخ بمن حوله :

أيها المد لجون في ظلم المنفى وزاد المسيرة الإرهاق
القريبون والوفاق بعيد والطليقون والخلاف وثاق
أيها المد لجون في ظلم المنفى قفوا فالطريق وعر معاق(٨٧)

وهذا التصريح بظلمة الحال والتشتت والفرقة والضياع في المنفى هو ما اقض مضجعه وأوقد نار الشوق في قلبه وأجج الحنين إلى بلده وكره الإقامة في بلاد الغربة والمنفى .

٢- معسكرات اللاجئين:

لقد اضطرت الحياة هذا الشاعر ليكتب في موضوعة اللجوء حين أصبحت له ابنة ضاقت بها ارض العراق الذي ولدت به فإذا هي لاجئة في خيام رفحاء –تلك المنطقة الصحراوية التي التجأ إليها أبناء العراق المنتفضين ضد النظام والذين عانوا القسوة والألم من هذا المكان الصحراوي المعزول عن العلم وعن الوطن والأهل ومن بين هؤلاء كانت ابنته تعاني هذه الحالة ولكن الأنكى من ذلك أن يولد لها طفل في خيام اللاجئين وتسميه (يقظان) فيهز هذا الموقف الشاعر فيكتب قصيدته الشهيرة (يقظان) ليصور فيها هذه المأساة وصور قسوة العيش ومرارة المعاناة وليس اشد عليه من حالة يجتمع فيها البعد والخوف وظلم البشر والطبيعة لذلك نجد الجد يخاطب حفيده((المولود في صحراء الغربة التي استقبلته في الوقت الذي رفضه وطنه))(٨٨) فانه يخاطب الناس الذين ضمتهم تلك المنافي والمعسكرات بقوله:

نبؤني يا من (برفحاء) بانوا كيف يغفو بليلها اليقظان
كيف هزت عواصف الريح مهدا ضجرت من بكائه الأوطان
ضاق فيه حضن الفراتين ذرعا فتلقته هذه الكثبان(٨٩)

لكن هذا المولود سيظل عراقيا أصيلا لأنه ابن نخيل العراق وأهوار جنوبه والشاعر يسأل مستنكرا الحالة مجيبا وبكل ثقة أن هذه الفسيلة هي عراقية المنشأ أبدا وستظل روحه أبدا تعشق العراق لان جذوره قد نبتت فيه وسوف تنمو وتزدهر .

وفي ديوان الشاعر السيد مصطفى جمال الدين أمكنة كثيرة لم يتطرق إليها البحث لأن له سعة لا يستطيع تجاوزها ولعل كاتبا أخر يجد في هذا الديوان ما لم نجده أو ما لم نستطع أن نغنيه بحثا وتحليلا.ومن الله التوفيق والسداد.

الخاتمـــة :

إن دراسة اثر المكان في شعر مصطفى جمال الدين قد أثمرت عن نتائج يمكن لنا إجمالها بالاتي:

١-تنوعت الأمكنة التي وردت في شعره تنوعا يلفت الأنظار، وربما عاد هذا التنوع إلى التغيرات التي ألمت بحياة الشاعر فلقد مرت حياته بمراحل ثلاث هي مرحلة الطفولة التي قضى جزءا كبيرا منها في قرية من قرى جنوب العراق،ثم تلتها مرحلة تكوين الشخصية والتي بدأت بمدينة النجف الاشرف ثم مدينة بغداد وفيها اتم دراسته.

٢- توضح للباحث أن الشاعر قد أحب أمكنة ظلت ترافقه أين ما حل أو ارتحل وهذه الأمكنة أسميناها بالأمكنة الأليفة وقد تمحورت في أمكنة محددة مثل البيت الذي ولد فيه ونشأ ومن ثم القرية /مسقط رأسه قرية (المؤمنين) ومن المدن الأليفة الأخرى مدينة النجف الاشرف وبغداد التي صارت عنده رمزا لحب الوطن وقد تغنى الشاعر بها كثيرا وحملها معه حمل الأمانة.

٣-كثرت في قصائد الشاعر أمكنة طبيعية وتنوعت وحملت بتنوعها هذا دلالات و سمات واضحة في صوره الشعرية التي فضحت تعلق الشاعر بهذه الأمكنة التي يمكن تصنيفها الى نوعين بارزين هما: الأنهار وما يرتبط بها من تفاصيل دقيقة ظلت تتوارد في شعره لتمنح النص جمالية وتثري المعنى الذي من اجله كتبت القصيدة،كما لاحظ الباحث كثرة ورود مفردات أخرى تدل على أمكنة طبيعية مثل الصحاري التي أعطت دلالاتها للنص الشعري وفق القدرة الفنية في التوظيف السليم الذي سار عليه الشاعر.

٤- لقد كان للأمكنة الدينية حيزا واسعا في نصوصه الشعرية ،استطاع الشاعر أن يستثمر كل معانيها وان يفرغ كل الأحاسيس والانفعالات التي تولدها عنده وهو الشاعر الشفاف والرجل المتدين فأحسن في عرض هذا التأثير عن قصد أو من دون قصد.

٥- لقد توضح للباحث أن الأمكنة التي لم تكن باختيار الشاعر والتي اجبر أن يعيش فيها ظلت أمكنة معادية له لا تثير في نفسه إلا الحزن والهم والحنين إلى الوطن الذي ابعد عنه ،وسواء لديه أن عاش هذه الأمكنة آو تصور الحياة القاسية فيها ،فهي تشكل عنده هما تمنى أن يفارقه لكن القدر لم يمنحه هذه الأمنية ،فمات الشاعر فيها غريبا فرحمه الله واسكنه فسيح جناته.

الهوامـــــــــش

(١) الديوان ١٥.
(٢) شعر مصطفى جمال الدين-دراسة فنية :١٣
(٣) م .ن:١٤
(٤) الديوان:١٨
(٥) م.ن :٥٩
(٦) ينظر :شعر مصطفى جمال الدين :١٩ الهامش
(٧) م.ن: ٢١
(٨) ينظر ،سيد النخيل المقفى :٢٣٨ وفيه محاضرة عن (محنة الاهوار والصمت العربي)ألقاها في مركز أهل البيت الإسلامي في لندن بتاريخ١٩٩٣\٨\٢٢
(٩) لسان العرب ٣٩٦٠/٥
(١٠) لسان العرب :مادة (مكن)
(١١) الكليات:٣٣٢
(١٢) الانتماء في الشعر الجاهلي:١٩٧
(١٣) الطبيعة لأرسطو :٢٧١
(١٤) الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم _مجلة عالم الفكر – عدد١٣٢سنة ١٩٧٧
(١٥) جماليات المكان :١٧٩
(١٦) م.ن :٢٢٧
(١٧) جماليات المكان في النقد العربي ،د، عبد الله ابو هيف – مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ،مجلد ٢٧،عدد١ سنة ٢٠٠٥م
(١٨) الزمكانية وبنية الشعر المعاصر – أحمد عبد المعطي حجازي أنموذجا:٢٥
(١٩) جماليات المكان :٤٤
(٢٠) الديوان :١\ ٢٠٣
(٢١) جماليات المكان :٤٤
(٢٢) الديوان :١ \٢٠٤
(٢٣) م .ن :١\ ٤٤٩
(٢٤) م .ن :١ \٤٤٩
(٢٥) المكان عند الشاعر العربي قبل الإسلام :٤٥
(٢٦) الديوان :٢\٣٠٤

(٢٧) المكان في شعر الشريف الرضي :٤٣

(٢٨) الديوان :٤٣٩/٢

(٢٩) الزمن في الأدب :١١٤

(٣٠) الديوان :١٤١/٢

(٣١) ارتحالات الشعر في الزمان والمكان :١٦

(٣٢) الديوان :٢٩٩/٢

(٣٣) عن شعرية المكان في شعر الأخطل :٥٦

(٣٤) الديوان :٣٤١/٢

(٣٥) م .ن : ٣٤٢/٢

(٣٦) شعر مصطفى جمال الدين – دراسة فنية :١٥

(٣٧) الديوان :٣٨/١

(٣٨) م .ن :٣٨/١

(٣٩) م.ن : ٤٥/٢

(٤٠) شعر مصطفى جمال الدين – دراسة فنية :١٢٣

(٤١) الديوان :٧٠/٢

(٤٢) م .ن – الهامش :٧٠/٢

(٤٣) م .ن :١٥/٢

(٤٤) م .ن :١٠١/٢

(٤٥) م .ن :١٠٢/٢

(٤٦) الشعر والتاريخ :٣٤

(٤٧) الديوان :١٧٧/١

(٤٨) م ن :٢٨٣/١

(٤٩) جماليات المكان =اعتدال شاهين ،مجلة الأقلام =ع.٢سنة ١٩٨٦

(٥٠) صياغة الصورة الحسية ودلالتها في قصيدة بغداد-د صباح عنوز – المؤتمر الاستذكاري للشاعر مصطفى جمال الدين :١٤٦

(٥١) الديوان :١٢٩/١

(٥٢) م .ن :١٣٠/١

(٥٣) م.ن :١٣١/ا

(٥٤) جماليات المكان :٤٧

(٥٥) الديوان :٢٩٥/١

(٥٦) م.ن :٢٩٦/١

(٥٧) إشكالية المكان في النص الشعري :٢٩٣

(٥٨) الديوان :١٨٤/١

(٥٩) شعرية المكان في شعر الأخطل :٦٥

(٦٠) م .ن :٦٥

(٦١) الديوان :٣٣٤/٢

(٦٢) مشكلة المكان الفني :٦١

(٦٣) الديوان :٦٠/٢

(٦٤) م. ن :٦٣/٢

(٦٥) م.ن :١٩١/٢

(٦٦) الزمان والمكان في الشعر الجاهلي :٢٥٨

(٦٧) المكان في الشعر العراقي الحديث :١٥٨

(٦٨) الديوان :١٩٥/١

(٦٩) م . ن :١٩٧/١

(٧٠) المكان في الشعر العراقي الحديث :١٥٨

(٧١) الديوان :١٩٤/٢

(٧٢) م.ن :١٩٦/٢

(٧٣) الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم- د.حسام الالوسي مجلة عالم الفكر –عدد٢-١٩٧٧

(٧٤) الديوان :١٥/٢

(٧٥) م .ن :١٥٨/١

(٧٦) م.ن ،الهامش :١٥٨/١

(٧٧) م.ن :١٥٩/١

(٧٨) م .ن :٤١/٢

(٧٩) م .ن :٤٤/٢

(٨٠) المكان في شعر الشريف الرضي :٤٣

(٨١) الديوان :٢٥٩/١

(٨٢) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر :١٥٩

(٨٣) جماليات المكان –مجموعة باحثين:٢٣

(٨٤) الديوان :١١/٢

(٨٥) شعر مصطفى جمال الدين –دراسة فنية :١٢١

(٨٦) الديوان :١٠٦/٢

(٨٧) م. ن :١٠٧/٢

(٨٨) شعر مصطفى جمال الدين –دراسة فنية :١٢١

(٨٩) الديوان :٦٣/٢

المصـــــــادر

١- ارتحالات الشعر في الزمان والمكان – طراد الكبيسي –دار اليازوري العالمية للنشر والتوزيع –الأردن – ٢٠٠٩

٢- إشكالية المكان في النص الأدبي – دراسات نقدية – ياسين النصير – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ١٩٨٦

٣- الانتماء في الشعر الجاهلي – فاروق احمد سليم – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق- ١٩٩٨

٤- جماليات المكان – جاستون باشلار- ترجمة غالب هلسا _الدار الوطنية للنشر_١٩٨٠

٥- جماليات المكان- مجموعة باحثين الدار البيضاء – المغرب –ط٢

٦- الديوان – مصطفى جمال الدين – دار المؤرخ العربي-بيروت –ط٢ - ٢٠٠٨

٧- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي – د.باديس فوغالي – عالم الكتب الحديث –الأردن –ط١ – ٢٠٠٨

٨- الزمكانية وبنية الشعر المعاصر-(احمد عبد المعطي حجازي نموذجا) د.حنان محمد موسى حمودة – جدار االكتاب العالمي _اربد – الأردن-٢٠٠٦

٩- سيد النخيل المقفى –المكتبة الأدبية المختصة -١٤١٨هـ

١١- الشعر والتاريخ – د.نوري حمودي القيسي –جامعة بغداد – ١٩٨٠

١٢- شعر مصطفى جمال الدين – دراسة فنية – عبد الله فيصل أل ربح – دار الانتشار _ط١_بيروت_٢٠٠٦

١٣-الطبيعة –لأرسطو –ترجمة اسحق حنينن- تحقيق عبد الرحمن بدوي_٢٠٠٦

١٤ - الكليات – أبو البقاء الكفوي – طبعة القاهرة –مصر – د.ت

١٥-لسان العرب – لابن منظور- قدم له الشيخ عبد الله العلايلي _ إعداد وتصنيف يوسف الخياط ونديم المرعشلي _دار لسان العرب _بيروت _١٩٧٠

١٦- المكان في الشعر العربي قبل الإسلام – رسالة ماجستير –حيدر لازم مطلق –كلية الآداب – جامعة بغداد ١٩٨٧

١٧- المكان في شعر الشريف الرضي – دراسة فنية – زينب عبد الكريم الخفاجي – رسالة ماجستير – كلية التربية للبنات- جامعة بغداد -٢٠٠٢

١٨- المكان في الشعر العربي الحديث –أطروحة دكتوراه –سعود احمد يونس –كلية الآداب – جامعة الموصل – ١٩٩٦

الدوريـــــات:

١- جماليات المكان - اعتدال شاهين – مجلة الأقلام عدد٢ -١٩٨٦

٢- جماليات المكان في النقد العربي المعاصر- د.عبد الله أبو هيف مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – مجلد ٢٧ عدد١ سنة ٢٠٠٥

٣- الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم – د.حسام الألوسي مجلة عالم الفكر –عدد٢ سنة ١٩٧٧

٤- شعرية المكان في شعر الأخطل –د.نهى محمد عمر –مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية – المجلد ١٦ العدد١٠ السنة ٢٠٠٩

٥- صياغة الصورة الحسية ودلالتها في قصيدة بغداد –د.صباح عنوز –المؤتمر الاستذكاري للشاعر مصطفى جمال الدين ٢٠٠٣/١٢/١٥

٦- مشكلة المكان الفني – يوري لوتمان – ترجمة سيزا قاسم – مجلة الفن – العدد ٦ سنة ١٩٨٦